الوسطية في الإسلام وعلاقتها بالأمن الفكري :"دراسة تأصيلية في ضوء القرآن الكريم "

Hanan Awad Ibrahim Ali
قسم الدراسات الإسلامية تخصص التفسيروعلوم القرآن بكلية الآداب
جامعة الإمام عبدالرحمن بن فيصل
haiali@iau.edu.sa

ملخص البحث

أشتمل هذا البحث على مفهوم الأمن ودلالاته في القرآن الكريم والسنة كما بين مفهوم مصطلح الوسطية في اللغة والاصطلاح وذكر الأدلة وبيان الخصائص العامة لهما كما أوضح العلاقة الوثيقة بين المنهج الوسطي وتحقيق الأمن الفكري. فإن الوسطية تتحقق في الأمة الإسلامية بأنها خير الأمم وأعدلها ووسطيتها لأنها تنتسب إلى أعظم المناهج وأفضل الشرائع خصها به رب العالمين سبحانه وتعالى ورضيه لها ديناً. وعلى ذلك فإن الأمن الفكري يعني حماية المنظومة العقدية والثقافية والأخلاقية والأمنية في مواجهة كل فكر أو معتقد منحرف أو متطرف وما يتبعه من سلوك، ويحقق هذا المعنى الالتزام بالوسطية لأنها تحول دون الشطط الذي يلحق بالفكر فيجعل صاحبه منحرفاً فكرياً. وبين مدى اهتمام الإسلام بالأمن الفكري والنفسي وارتباطهما الوثيق بالفكر الصحيح والإيمان.

الكلمات المفتاحية: الوسطية، الأمن، المنهج، الفكر.

Abstract

This research included the concept of the security, and its meanings in the Noble Quran, and also clarified the term Medial (Al-Wasatya) in language and idiomatically, and mentioning the Proofs, and demonstrate the general characteristics of it, and show the firm relationship between the Medial method and achieving the intellectual security. The Medial realized in the Islamic Nation, that it is the better of all nations, and the most equitable and medial, because it belonged to the most might methods, and the most better legitimates that Allah To Whom be ascribed all perfection and majesty, and accepted it as a religion. So the intellectual security means the protection of the religious, cultural, moral, and security systems in confrontation each thought, or perverted belief, or extreme, and what followed of behavior. This meaning achieves the comply with the Medial, because it prevent the excessiveness that affect the thought and make its owner intellectually perverted. The study clarified the extent of Islam concern about the psychological and intellectual security and its strong correlation with the sound thought and faith.

Keywords: Values, Social, Quran, An-Nisa-Women.

مقدمة:

جاء الإسلام بالخير والرحمة والوسطية والاعتدال الذي يعطي العقل حرية التفكير ولا يحجب عنه الحقيقة، والإسلام بما حواه من هداية إلهية وتشريعات سماوية يكفل للمجتمع الإنساني عامة وللمجتمع المسلم خاصة كل عوامل السعادة والأمن والاستقرار. فإن من نعمة الله على هذه الأمة وتشريفه لها أن جعلها أمة وسطا خيارا عدولا فهي خير الأمم التي أخرجت للناس وقد وصفها المولى عز وجل وشهد لها بذلك فقال تعالى: كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ [1]. ثم اصطفى الله سبحانه وتعالى لها رسولا من خيارها وأوسطها نسبا ومكانة فبعثه فيها نبيا رسولا: لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ [2]. وأنزل عليها أشرف كتبه وجعله مهيمناً على الكتب قبله شاملا لخير ما جاءت به وأنزل عليها أشرف كتبه وجعله مهيمنا على الكتب قبله شاملا لخير ما جاءت به: وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ [3] بهذا الرسول الكريم، وهذا القرآن العظيم، شرفت هذه الأمة، وبمتابعتهما والاهتداء بهديهما كانت خير الأمم وأوسطها وأعدلها.

وكان أسعد هذه الأمة باتباعهما وأحرصهم على هديهما قولا وعملا واعتقادا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تابعوهم، ثم التابعون لهم بإحسان من القرون الثلاثة المفضلة التي شهد لها النبي صلى الله عليه وسلم بالخيرة في قوله "خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم"[4]. ميز الله تعالى الإنسان دون سائر المخلوقات بالعقل ليُفكر ويدرك ويستنبط ويميز بين البدائل ليختار بينها، وعلمه البيان أي تبيان الأمور وتوضيحها أتاح لعقل الإنسان أن يتفكر في خلق السماوات والأرض، وفي خلق الإنسان نفسه ليصل عن معرفة ويقين إلى الإيمان بخالق الكون وخالق كل شيء فسبحانه تعالى الذي خلق فسوى وقدر فهدى، ولكن عندما يعمل العقل ويُطلق له العنان في أن يفكر بدون عقيدة تحمي هذا العقل والفكر وبدون منهج يحدد له أسلوب التفكير يضل هذا العقل بفكره. ولذلك فإن الفكر الإنساني وحتى يكون في إطار سليم، لابد أن يكون نابعاً من عقيدة سليمة، لا تؤثر فيها المذاهب الضالة والتيارات الفكرية المنحرفة.

1 سورة آل عمران: الآية (110).

2 سورة التوبة: الآية (128).

3 سورة المائدة: الآية (48).

4 صحيح مسلم حديث رقم (3936) باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم.

فالوعي والإدراك واليقظة، والفهم الواعي لكليات الشريعة والتعاليم والمبادئ والقيم والأعراف، كل ذلك لحماية العقل من أن تنال منه هذه التيارات، فحماية العقل المسلم وسلامة أدائه هي حماية للدين وللشريعة وللإنسان المسلم وللعقل والمجتمع المسلم، لا تنفصم عنهم ولا تنفك فالرسالة هي الغاية، والعقل والإدراك هما الوسيلة.

اما الداعي للبحث فهو حاجة الميدان الثقافي والتربوي إلى معرفة مفهوم الأمن الفكري لمحاولة تحقيقه في المجتمع وبيان المعنى الصحيح للأمن الفكري في الدنيا وأنه أشمل من كونه في الأنفس والعقول والأموال والأعراض فأعظم أمن هو الأمن في الأديان وحماية الناس من أن يفتنوا في دينهم. وإذا انحرفت الوسيلة أو فسدت، ضاعت الغاية وغاب المقصد. ومن هنا تبرز أهمية الأمن الفكري، فمن خلال فهم الإنسان وإدراكه وتأمله في آيات الله الكونية يحدد مفهوم الشخص للحياة والغاية من وجوده. كذلك قضية الأمن الفكري طرحاً وتأصيلاً والتي برزت أهميتها في السنوات الأخيرة بحكم التغير الفكري الذي آل إليه الواقع، فلأمن الفكري يشكل أهمية بالغة للأفراد والأسر والمجتمعات وتنامي المشكلات المؤثرة على المجتمع من جراء الانحرافات الفكرية المتصاعدة.

منهج البحث:

تقتضي طبيعة البحث استخدام المنهج التكاملي المشتمل على عدد من المناهج البحثية منها.المنهج الاستدلالي والاستنباطي: الذي يقوم على الاستقراء من خلال ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وأقوال السلف والأئمة وأقوال المعاصرين في موضوع الأمن الفكري.

أما الجانب الفني في البحث فهو على النحو التالي:1) تخريج الأحاديث من كتبها المعتمدة مع بيان درجة الحديث.2)توثيق النصوص المنقولة، فإذا كان النقل من المرجع نقلاً حرفياً فإني أضعه بين علامتي تنصيص " ... "، ثم أذكر في الحاشية اسم المرجع، واسم المؤلف، ورقم الجزء – إن وجد – ورقم الصفحة ودار النشر ومكانه وتاريخه والطبعة، - التعريف بالمصطلحات وشرح غريب الألفاظ. 3)إنهاء البحث بالفهارس الفنية اللازمة.

أسباب اختيار: الموضوع التوصل إلى صيغة توضح مفهوم الأمن الفكري وأهميته في الإسلام وخصائصه ومزاياه،التأصيل لمفهوم الأمن الفكري والوسطية، وذكر الأدلة على ذلك.،ترسيخ مفهوم الفكر الوسطي المعتدل الذي يتميز به الدين في ظل واقع تعتري الوسطية تحديات التطرف والتمييع، إبراز دور الاستقامة على هذا الدين في تعزيز الأمن الفكري واستقراره، تحصين أفكار الناشئة من التيارات الفكرية الضالة والتوجهات المشبوهة .

المبحث الأول: مفهوم الأمن ودلالاته في القرآن الكريم والسنة.

أولاً: الأمن في اللغة.

الأمن في أصله اللغوي بمعنى، وهو مصدر للفعل أمن يؤمن. وقد جاء في معجم مقاييس اللغة أن "(أمن) الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة ومعناها سكون القلب، والآخر التصديق. والمعنيان متدانيان"[5]. وجاء في مختار الصحاح: " أ م ن: (الأمانة) و(الأمنة) بمعنى، وفي القرآن الكريم: إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ "[6]. وقد (أمن) من باب فهم وسلم و (أمانا) و (أمنة) بفتحتين فهو(آمن) و (آمنه) غيره من (الأمن) و (الأمان)، والأمن ضد الخوف"[7].

وجاء في لسان العرب أن الأمن "ضد الخوف"[8]. من خلال هذه المعاني اللغوية يتبين لي أن معنى الأمن في لغة العرب يدور حول أمرين هما: الطمأنينة والشعور بالرضا والاستقرار أولاً. ثم التصديق والثقة وعدم الخوف ثانياً، ومنه قوله تعالى: ُ الَّذِى أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ[9].

ثانياً: مفهوم الأمن في الاصطلاح.

تباينت التعريفات الاصطلاحية للأمن لتباين المشارب السياسية والتنوع في النظرة واختلاف التصورات بين الكتاب والعلماء وخبراء السياسة والأمن، لكنها في المحصلة تصب في معين واحد وتسعى لتحقيق هدف مشترك يتفق عليه جميع الأطراف وهو توفير حياة كريمة هانئة يعيش فيها الفرد بأمن وسلام، وفيما يلي أهم تعريفات الأمن في الاصطلاح: عُرف الأمن قديماً وحديثاً، وكثر التعريفات لا تخرج كثيراً عن معناه اللغوي، فقديماً قالوا: "عدم توقع مكروه في الزمان الآتي[10].

5 مقاييس اللغة: أحمد بن فارس القزويني، (133/1) باب الهمزة والميم وما بعدهما في الثلاثي، ت: عبدالسلام هارون، الناشر: اتحاد الكتاب العرب، 1423هـ.

6 سورة الأنفال: الآية (11).

7 مختار الصحاح، زين الدين محمد الرازي، الناشر: مكتبة لبنان، بيروت، 1989م (22/1).

8 لسان العرب، محمد بن منظور، مادة: أمن، الناشر: دار صادر، بيروت، ط: الأولى، 1417هـ.

9 سورة قريش: الآية (4).

10 التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، ت: إبراهيم الأبياري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط: الأولى 1405هـ (ص55).

ثم تطور هذا المفهوم نتيجة لتطور المجتمعات البشرية ولتنوع الحاجات الإنسانية فتعددت الآراء والأقوال بحسب اختلاف المجالات والتخصصات. وبالتالي فهناك تعريفات اصطلاحية للأمن حسب جوانبه وأقسامه وذلك من خلال ما يلي:

الأمن في الجانب النفسي: عرف بأنه "الحالة التي يسود فيها الشعور بالطمأنينة والهدوء والاستقرار والبعد عن القلق والاضطراب[11].

الأمن في الجانب السياسي: "هو تحقيق كيان الدولة والمجتمع ضد الأخطار التي تهددها داخلياً وخارجياً وتأمين مصالحها وتهيئة الظروف المناسبة اقتصاديا واجتماعياً لتحقيق الأهداف والغايات التي تعبر عن الرضا العام في المجتمع"[12].

الأمن في الجانب الشرعي: "هو الاستعداد والأمان بحفظ الضروريات الخمس من أي عدوان عليها، فكل ما دل على معنى الراحة والسكينة وتوفير السعادة والرقي في شأن من شؤون الحياة فهذا أمن"[13].

من هنا يتضح التباين في تعريفات الأمن حسب المنظور الذي ينظر إليه كل باحث. "وفي محاولة لنظرة شاملة ومتكاملة فالأمن عبارة عن "مجموعة من الإجراءات التربوية والوقائية والعقابية التي تتخذها السلطة لحماية الوطن والمواطن داخلياً وخارجياً انطلاقاً من المبادئ التي تؤمن بها الأمة، ولا تتعارض أو تتناقض مع المقاصد والمصالح المعتبرة"[14].

المبحث الثاني: مفهوم الفكر في اللغة والاصطلاح.

أولاً: الفكر في اللغة:

جاء في مختار الصحاح: "ف ك ر: (التفكر) التأمل، و (أفكر) في الشيء و(فكر) فيه بالتشديد و (تفكر) فيه بمعنى. ورجل (فكير) بوزن سكيت كثير التفكر"[1615] وجاء في مقاييس اللغة: "الفاء والكاف والراء تردد القلب في شيء، يقال: تفكر إذا ردد القلب معتبراً[17]. وجاء في لسان العرب إلى أن الفكر هو "إعمال الخاطر في شئ"[18].

وجاء في المنجد في اللغة والأعلام أن كلمة فكر تعني "فَكَرَ فِكراً وفكر وأفكر وتفكر في الأمر أي أعمل الخاطر فيه وتأمله.

11 المفهوم الأمني في الإسلام، علي فايز الجحني، مجلة الأمن، الصادرة من وزارة الداخلية العدد (2) ذي الحجة، 1408هـ (صـ12).

12 مختار الصحاح، زين الدين محمد الرازي، (242/1).

13 مقاييس اللغة، ابن فارس (446/4).

14 لسان العرب، ابن منظور، (307/10).

15 المنجد في اللغة والأعلام، لويس معلوف، مادة: فكر، الناشر: دار المشرق، بيروت، ط: الثامنة والعشرون 1973م (صـ591).

16 المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد الفيومي، الناشر: دار الفكر (بدون تاريخ) (479/2).

17 مقاييس اللغة، ابن فارس 446/4.

18 لسان العرب، ابن منظور 307/10.

والفكر جمع أفكار: تردد الخاطر فيه بالتأمل والتدبر بطلب المعاني. ويقال لي في الأمر فِكر أي نظر ورؤية[19] مما سبق يتضح أن مفهوم الفكر في اللغة يدور حول معنى واحد تقريباً وهو إعمال الفكر بالتأمل والتدبر، وإعمال العقل.

ثانياً: الفكر في الاصطلاح:

قال الفيومي: "ويقال: الفكر ترتيب أمور في الذهن يتوصل بها إلى مطلوب، يكون علماً أو ظناً"[20]. وعرفه الدكتور عبدالرحمن الزنيدي بقوله: "الفكر في المصطلح الفكري والفلسفي خاصة هو الفعل الذي تقوم به النفس عند حركتها في المعقولات، أي النظر والتأمل والتدبر والاستنباط[21]. ويقول جميل صليبا "وجملة القول: أن الفكر يطلق على الفعل الذي تقوم به النفس عند حركتها في المعقولات أو يطلق على المعقولات نفسها. فإذا أطلق على فعل النفس دل على حركتها الذاتية وهي النظر والتأمل، وإذا أطلق على المعقولات دل على المفهوم الذي تفكر فيه النفس"[22].

مما سبق يتضح أن التفكر يراد به "إعمال النظر والتأمل في مجموعة من المعارف لغرض الوصول إلى معرفة جديدة، وهو بهذا عملية يقوم بها العقل أو الذهن بواسطة الربط بين المدركات أو المحسوسات واستخراج معانٍ غائبة عن النظر المباشر"[23]. ولا يقصد بكلمة (الفكر) تلك الحركة الذهنية الدائبة التي لا تتوقف عن النشاط في إدراك المعقولات والتي يطلق عليها اسم التفكير، بل المقصود هو الحديث المصطلح الشائع الذي يعني جملة ما يتعلق بمخزون الذاكرة الإنسانية من الثقافات والقيم والمبادئ التي يتغذى بها الإنسان من المجتمع الذي يعيش فيه. وبهذا المفهوم نستطيع تصنيف الفكر الحديث إلى فكر إسلامي، وفكر يهودي، وفكر نصراني، وفكر شيوعي، وفكر علماني، وغير ذلك من صنوف الفكر التي تنتشر في المجتمعات وتؤثر في توجيهها، وفي أنظمة الدول التي تحكمها[24]. وجملة القول: فإن الفكر اصطلاحاً كما يقول أهل الاختصاص هو: عمل العقل ونتاجه.

والإسلام أولى عناية فائقة بالفكر والمحافظة عليه من كل شيء يؤدي به إلى الانحراف والزيغ واهتم اهتماما بالغاً بآلة الفكر وهي العقل، ودعى إلى التفكر الذي يقود إلى ما ينفع الإنسان من معرفة الله وخشيته والانقياد له

19 المنجد في اللغة والأعلام، لويس معلوف، مادة فكر، الناشر: دار المشرق، بيروت، ط: الثامنة والعشرون، 1973م (ص591).

20 المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد الفيومي، الناشر: دار الفكر، بدون تاريخ، 479/2.

21 حقيقة الفكر الإسلامي، د/ عبدالرحمن الزنيدي، الناشر: دار المسلم، الرياض، ط2، 1422هـ (ص10).

22 المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، جميل صليبا، الناشر: دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م (156/2).

23 التعريفات، الجرجاني، (مرجع سابق) (ص55).

24 انظر: الأمن الفكري وعناية المملكة العربية السعودية به، د/ عبدالله بن عبدالمحسن التركي، وأصل الكتاب محاضرة ألقيت في مدينة تدريب الأمن العام بمكة المكرمة بتاريخ 1422/3/5هـ، (بدون دار نشر) (ص57).

سبحانه وتعالى. في القرآن الكريم وردت لفظة "التفكر" كثيراً كما في قوله تعالى: ۞يَسۡ ـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ وَيَسۡ ـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۗ وَيَسۡ ـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ [25].

وغيرها من الآيات الكثيرة التي تؤكد على هذا المعنى مما يبين بجلاء أهمية الفكر والتفكر وإعمال العقل الذي يكون سبباً في نبذ التقليد الأعمى، والتجرد للحقيقة والابتعاد عن التعصب للآراء وما عليه الآباء إذا كانوا على ضلال. وجملة القول من هذا المطلب يتبين الارتباط الوثيق بين الفكر الصحيح والإيمان، فإن الفكر الصحيح المبني على الاستدلال والنظر والتأمل والتفكر بتجرد يقود حتماً إلى الإيمان بالله وتوحيده وخشيته، ولذلك يدعو القرآن الكريم كثيراً إلى التفكر والنظر وإعمال العقل.

المبحث الثالث: التأصيل الشرعي لمفهوم الأمن الفكري.

إنه بالرغم من أن هذا المصطلح (الأمن الفكري) لم يرد في النصوص الشرعية، بل وليس له وجود في تراث علماء المسلمين إلا أن مقاصد الشريعة المأخوذة من استقراء نصوص الكتاب والسنة وما يدل عليه كلام علماء الأمة قد تضمنت ما يدل على المضامين الرئيسة لهذا المفهوم. "فالشريعة الإسلامية جاءت لحفظ الضرورات الخمس (الدين والعقل والنفس والمال والعرض)، وبالتالي فإن بناء مفهوم (الأمن الفكري) في الإسلام يستدعي مراجعة النصوص الشرعية وتطبيقاتها، للخلوص بالرؤية المتكاملة إلى تحقيق الأمن على الفكر الاعتقادي، وهذا عمل ينبني على الاستقراء الموصل لليقين مع دراسة المفاهيم التي تتصل بهذا المفهوم أو تتقاطع معه أو تختلط به"[26]. ومن الآيات التي تدل على أمن الفكر قوله تعالى: ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ [27].

فسر العلماء (الظلم) بالشرك وهو أمر متعلق بالفكر، إذ أن الشرك نوع من اعتقاد فاسد قائم على معطيات فكرية زائفة. فإذا كان الإيمان الملبس هو الشرك فإن الإيمان الخالص هو التوحيد المنسجم مع العقل والفطرة السوية. فالأمن من هذا المنظور هو نتيجة لمعطيات فكرية وليس معطيات حسية. ومن هنا يتبين أن الأمن من المنظور التحليلي يتحقق بناء على عاملين: 1) حسي، وهو الأمن في الأنفس والأموال والأعراض. 2) وفكري، وهو الأمن في المعتقد وسلامته

25 سورة البقرة: الآيتان (219-220).

26 بناء المفاهيم ودراستها في ضوء المنهج العلمي "مفهوم الأمن الفكري أنموذجاً، د/ عبدالرحمن اللويحق(ص18).

27 سورة الأنعام: الآية (82).

من الانحراف عن الوسطية.

وأكمل الأمن ما اجتمع فيه العاملان[28]، وهو ما يشير إليه قوله تعالى: لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ [29].

ومن خلال الاستقراء وتتبع النصوص لتكوين العناصر الأساسية (للأمن الفكري) والمحددة له يتبين أنها تتكون من العناصر التالية: العنصر الأول: الاعتصام بحبل الله تعالى العنصر الثاني: التأصيل على الحق. ولأهمية هذه العناصر المكونة للأمن الفكري فسأتحدث عنها فيما يأتي:

العنصر الأول: الاعتصام بحبل الله تعالى

إن الرؤية الإسلامية تربط أحكام الحياة كلها بالله مصدراً وغايةً، ولذلك فإن الله يقول: وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ[30]، والفكر إنما ينضبط بارتباط العبد بالله، وهذا يتحقق في أمور منها:

1. توجه القلب إلى الله نية وقصداً:

إن معظم الانحراف يأتي من سوء القصد وانحراف الغاية. وأهل الإيمان إنما يريدون الحق ويقصدونه حتى لو أخطئوا، والضالون إنما ضلوا بأسباب من أهمها سوء مقاصدهم، قال تعالى: رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ [31].

2. تقوى الله عز وجل:

يقول تعالى: يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ [32] ، فتقوى الله كما تسوق إلى العمل الصالح، فإنها تسوق إلى الفكر الصالح، وفي هذه الآية بين الله عز وجل أن التقوى سبب حصول معرفة الحق والتفريق بينه وبين الباطل.

3. لزوم جماعة المسلمين:

يقول تعالى: وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ

28 انظر: الأمن الفكري وأسسه في السنة النبوية، د/ جمال بادي و د/ إبراهيم شوقار، بحث مقدم للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري بتاريخ 22-25 جماد الأول 1430هـ، كرسي الأمير نايف لدراسات الأمن الفكري بجامعة الملك سعود (صـ7).

29 سورة قريش: الآيات (1-4).

30 سورة آل عمران: الآية (103).

31 سورة الصف: الآية (5).

32 سورة الأنفال: الآية (29).

إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ۝[33] .

ولقد شهدت النصوص الشرعية والوقائع التاريخية أن بين اعتصام الأمة بحبل الله واجتماعها علاقة وثيقة، كما أن بين بعدها عن الله وتفرقها تلازم وترابط[34].

العنصر الثاني: التحصين من الباطل:

لتحصين المجتمع من الضلال جاءت الشريعة بأمور منها:

1. التحذير من الفرق المخالفة لهذا المنهج الحق.

ومنه التحذير من رأس الفرق الضالة كالخوارج. فعن سويد بن غفله قال: قال علي رضي الله عنه إذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلأن أخر من السماء أحب إلي من أن أكذب عليه، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم، فإنما الحرب خدعة، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من قول خير البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن قتلهم أجرٌ لمن قتلهم يوم القيامة"[35].

2. التحذير من أعمال أهل الضلال:

ومنها الغلو وهو المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد، وضابطه تعدي ما أمر الله به، وهو الطغيان الذي نهى الله عنه في قوله: كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ۝[36].

3. ذكر أخبار الأمم لأخذ العبرة من أسباب ضلالهم:

وأكثر ما ورد في قصص بني إسرائيل، فإن الله قص علينا أخبارهم في سور كثيرة من القرآن، وفي ضمن ذلك التحذير من أعمالهم وأوصافهم.

4. التحذير من أوصاف محدودة:

كتحذير القرآن الكريم والسنة المطهرة من التفرق، ومن ذلك قوله تعالى وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ

33 سورة آل عمران: الآية (103).

34 انظر: بناء المفاهيم ودراستها في ضوء المنهج العلمي "مفهوم الأمن الفكري أنموذجاً"، د. عبدالرحمن اللويحق (ص20-23).

35 رواه البخاري: كتاب المناقب، باب: علامات النبوة برقم (3611)، وفي كتاب فضائل القرآن، باب: إثم من رآه بقراءة القرآن، برقم (5057)، وفي كتاب: استتابة المرتدين، باب: قتل الخوارج والمرتدين بعد إقامة الحجة عليهم، برقم (6930)، الناشر: بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، 1419هـ ورواه مسلم: كتاب الزكاة، باب: التحريض على قتل الخوارج، برقم (1066)، الناشر: دار الخير، بيروت، ط: الثالثة، 1416هـ.

36 سورة طه: الآية (81).

يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ [37]

التحذير من الإحداث والابتداع في الدين: ففي الحديث عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وإن أفضل الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة"[38]. فأبان عليه الصلاة والسلام أن البدعة ضلالة، لأنها إحداث في دين الله ما لم يشرعه الله ورسوله[39].

المبحث الرابع: أسباب تحقيق الأمن الفكري.

لاشك أن الأمن الفكري مطلب مهم وعزيز، حيث إنه بتحققه تحقق أمور كثيرة، وتختصر جهود كثيرة ومن أهم مراحل وأسباب تحقيق الأمن الفكري، ما يلي:

أولاً: مراحل تحقيق الأمن الفكري:

يتطلب تحقيق الأمن الفكري العمل على عدد من الجهات إن صح التعبير هي الوقاية والمواجهة والعلاج، ولكل منها متطلبات وإجراءات ومقومات، مع الوضع في الاعتبار تقويم الفكر وتصحيح المعتقد. وهناك مراحل يتحقق من خلالها الأمن الفكري وهي:

المرحلة الأولى: مرحلة الوقاية من الانحراف الفكري:

ويتم ذلك من خلال مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأولية والثانوية وغيرها من المؤسسات ويكون ذلك وفق خطط مدروسة تحدد فيه الغايات والأهداف.

المرحلة الثانية: مرحلة المناقشة والحوار:

قد لا تنجح جهود الوقاية في صد الأفكار المنحرفة من الوصول إلى بعض الأفراد، سواء كان مصدر هذه الأفكار داخليا أم خارجيا، مما يوجد بعض هذه الأفكار بدرجة أو بأخرى لدى بعض شرائح المجتمع، ثم لا تلبث أن تنتشر وتستقطب المزيد من الأتباع، مما يستدعي تدخل قادة الفكر والرأي من العلماء والمفكرين والباحثين للتصدي لتلك الأفكار من خلال اللقاءات المباشرة بمعتنقيها ومحاورتهم وتفنيد الآراء ومقارعة الشبة بالحجة وبيان الحقيقة المدعومة بالأدلة. وهذه المرحلة من أهم مراحل تحقيق الأمن الفكري خصوصا أن المواجهة فكرية في الأصل. وخير شاهد ودليل على أهمية

37 سورة آل عمران: الآية (103).

38 رواه مسلم: كتاب: الجمعة، باب: تخفيف الصلاة والخطبة، برقم (867).

39 انظر: بناء المفاهيم ودراستها في ضوء المنهج العلمي "مفهوم الأمن الفكري أنموذجاً"، د/ عبدالرحمن اللويحق، بحث مقدم للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري (ص25-28).

هذه المرحلة قصة عبدالله بن عباس رضي الله عنه في مناظرته للخوارج لما أرسله علي بن أبي طالب رضي الله عنه إليهم وكانت النتيجة أن تراجع كثير منهم.[40]

المرحلة الثالثة: مرحلة التقويم:

والعمل في هذه المرحلة يبدأ بتقييم الفكر المنحرف وتقدير مدى خطورته باعتبار ذلك نتيجة حتمية للحوار والمناقشة، ثم ينتقل العمل إلى مستوى آخر هو تقويم هذا الفكر وتصحيحه قدر المستطاع بالإقناع وبيان الأدلة والبراهين، فإن لم تنجح هذه المرحلة ننتقل إلى المرحلة التالية.

المرحلة الرابعة: مرحلة المساءلة والمحاسبة:

والعمل في هذه المرحلة موجه إلى من لم يستجب للمراحل السابقة، ويكون بمواجهة أصحاب الفكر المنحرف ومساءلتهم عما يحملونه من فكر، وهو منوط بالأجهزة الرسمية أولا وصولا إلى القضاء الذي يتولى إصدار الحكم الشرعي في حق من يحمل مثل هذا الفكر لحماية المجتمع من المخاطر التي قد تترتب عليه.

المرحلة الخامسة: مرحلة العلاج والإصلاح:

وفي هذه المرحلة يكثف الحوار مع الأشخاص المنحرفين فكريا، ويتم ذلك من خلال المؤهلين علمياً وفكرياً في مختلف التخصصات خصوصاً العلماء المؤهلين على مقارعة الشبهة بالحجة[41].

هذه أهم مراحل تحقيق الأمن الفكري الغاية منها الوصول إلى أعظم النتائج التزاماً بالمنهج الإسلامي القويم، والعمل على تحصين العقل من الشكوك والشبهات.

ثانياً: أسباب تحقيق الأمن الفكري:

1. الاهتداء بهدي الله:

وذلك بالاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فإن ذلك هو الأمن الحقيقي الذي يقود إلى أمن الفكر.

2. تعظيم النصوص الشرعية والوقوف عندها:

وهذا هو منهج السلف الصالح ومن قبلهم الصحابة رضوان الله عليهم أنهم لا يتجاوزون عشر آيات حتى يعملوا بها.[(42)]

3. صحة فهم النصوص:

40 مجلة البحوث الإسلامية 7/97.

41 انظر: الأمن الفكري: مفهومه، وأهميته، ومتطلبات تحقيقه، د/ عبدالحفيظ المالكي، مجلة البحوث الأمنية، العدد (43) أغسطس 2009م (صـ54-57).

42 انظر: منهج التلقي والاستلال بين أهل السنة والمبتدعة، أحمد بن عبدالرحمن الصويان، الناشر: المنتدى الإسلامي، ط: الثالثة، 1422هـ (صـ30).

وهذا السبب ركيزة أساسية لصحة الاستدلال، وكثير من الانحرافات الفكرية إنما جاءت بسبب سوء الفهم.

ولا يتحقق صحة الفهم للنصوص إلا بالاعتماد على أصول علمية وهي: الاعتماد على منهج الصحابة رضي الله عنه في الفهم، ففيهم تكلم الرسول صلى الله عليه وسلم وعاصروا التنزيل فهم أعلم الناس بمراد الله ومراد رسوله صلى الله عليه وسلم. معرفة اللغة العربية، ولهذا تواتر اعتناء علماء الأمة وأئمته بلغة القرآن حتى يوضع خطاب الشارع في موضعه اللائق. جمع النصوص الواردة في الباب الواحد، فالنصوص الشرعية تمثل وحدة واحدة يكمل بعضها بعضا، فلا تصح المسألة حتى تستوفى جميع النصوص الواردة فيها، فالنصوص الواردة تأتلف ولا تختلف، فكلها خرجت من مشكاة واحدة. معرفة مقاصد التشريع الإسلامي، فإن معرفة مقاصد التشريع وغايات الأحكام تعين المتأمل في تصور الأحكام تصورا متكاملا، وبالتالي البعد عن الوقوع في الانحراف في الفهم[43].

المبحث الخامس: مفهوم الوسطية في القرآن والسنة النبوية.

أولاً: الوسطية في اللغة:

قال في المعجم الوسيط الصحيح: (وسط) الشيء – (يسطه) وسطا، وسِطة: صار في وسطه ويقال: وسط القوم، ووسط المكان. فهو واسط. و – القوم، وفيهم وساطة: توسط بينهم بالحق والعدل. (الأوسط): المعتدل من كل شيء، وأوسط الشيء: ما بين طرفيه. وهو من أوسط قومه: من خيارهم. (الوسَط) وسط الشيء: ما بين طرفيه، وهو منه. والمعتدل من كل شيء. يقال: شيء وسط: بين الجيد والرديء. وما يكتنفه أطرافه ولو من غير تساو. والعدل. والخير: (يوصف به المفرد وغيره). وفي التنزيل العزيز: وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ "[44]: عدولا أو خيارا. وهو من وسط قومه: من خيارهم.

ثانياً: الوسطية في الاصطلاح:

وقد وردت مادة (وسط) في القرآن الكريم في عدة مواضع وذلك بتصاريفها المتعددة، وسيكون ذكر الأدلة في النقطة التالية.

1. الأدلة في ذكر الوسطية:

43 الأمن الفكري: مفهومه، وأهميته، ومتطلبات تحقيقه، د/ عبدالحفيظ المالكي، مجلة البحوث الأمنية، العدد (43) أغسطس 2009م (ص54-57).

44 سورة البقرة: الآية (143).

قال تعالى وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا[45].[46].وقال تعالى: حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ [47].

ومن الأحاديث: عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: إن رجلاً أتاه فقال: إن لي امرأة وإن أمي تأمرني بطلاقها، قال أبو الدرداء: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "الوالد أوسط أبوب الجنة، فإن شئت فأضع ذلك الباب أو احفظه"[48].وقوله صلى الله عليه وسلم: "ليس للنساء وسط الطريق"[49]. وقوله صلى الله عليه وسلم: "إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس أوسط الجنة وأعلى الجنة أُراهُ فوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنها الجنة"[50]. قال ابن الحجر حجر: "أوسط الجنة أو أعلى الجنة والمراد بالأوسط هنا الأعدل والأفضل"[51].

وعلى ذلك فإن الوسطية تتحقق في الأمة الإسلامية بأنها خير الأمم وأعدلها ووسطيتها لأنها تنتسب إلى أعظم المناهج وأفضل الشرائع خصها به رب العالمين سبحانه وتعالى ورضيه لها دينا.

المبحث السادس: المصطلحات ذات الصلة بمفهوم الأمن وأسباب تحقيق الأمن.

1. الاعتدال في اللغة:

جاء في المنجد في اللغة والأعلام "العدل: القصد في الأمور"[52].وجاء في القاموس المحيط "أعدال وعدول، وعديلك مُعادلك، والاعتدال توسط حال بين حالين في كم أو كيف"[53].وجاء في معجم مقاييس اللغة: العدل مصدر عَدَلَ يَعدِل عَدلاً وهو مأخوذ من مادة (ع د ل) التي تدل على معنيين متقابلين أحدهما يدل على الاستواء، والآخر على اعوجاج، ويرجع لفظ العدل هنا إلى المعنى الأول[54].

2. الاعتدال في الاصطلاح:

45 سورة البقرة: الآية (143).

46 تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، (مرجع سابق)، (89/1).

47 سورة البقرة: الآية (238).

48 رواه الترمذي، برقم (1900)، ت: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم (914) مكتبة المعارف، ط: الأولى، ورواه ابن ماجه برقم (1712)، ت: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط: الأولى، 1407هـ.

49 سلسلة الأحاديث الصحيحة، الشيخ الألباني، (856)، وقال: حسن بشواهده، (مرجع سابق).

50 رواه البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: درجات المجاهدين في سبيل الله، برقم (2790)، وفي كتاب: التوحيد، باب:أُ ز ىٰ ّ برقم (7432)، (مرجع سابق).

51 فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر العسقلاني، كتاب: الجهاد والسير، باب: درجات المجاهدين المجاهدين الناشر: دار السلام، الرياض، ط: الأولى، 1421هـ (17/6).

52 المنجد في اللغة والأعلام، لويس معلوف، مادة: عدل (صـ492).

53 القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، فصل العين، باب اللام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: الثالثة، 1400هـ (13/4).

54 انظر: معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس القزويني، كتاب العين، باب العين والدال وما يثلثهما، (مرجع سابق) (246/4).

جاء في التعريفات "العدل الأمر المتوسط بين الإفراط والتفريط. والعدالة في الشريعة عبارة عن الاستقامة على الحق بالاجتناب مما هو محظور ديناً"[55].

ويمكن أن يعرف بأنه التزام المنهج العدل الأقوم، والحق الذي هو وسط بين الغلو والتنطع، وبين التفريط والتقصير، فالاعتدال والاستقامة وسط بين طرفين: الإفراد والتفريط.

3. علاقة الاعتدال بالأمن الفكري:

من خلال التعريفات السابقة، والأدلة يتبين الارتباط الوثيق بين الاعتدال والأمن الفكري، حيث إن المنهج الشرعي في معالجة المستجدات قائم على النظر في الأدلة ومعرفة مقاصد الشريعة التي تسعى دائماً إلى كل ما يحقق السعادة للمجتمع، وهذا لا يتأتى إلا بلزوم المنهج المعتدل الذي هو في حقيقته خاصية أساسية من خصائص الشريعة الإسلامية، وبالتالي يتحقق للفرد أمنه في فكره، ويقود إلى تحققه في المجتمع. أولا: الاستقامة. إن الاستقامة على دين الله وسلوك الصراط المستقيم من أعظم أسباب تحقيق السعادة وخلو المجتمع من أي انحرافات، إن المتأمل في نصوص الوحيين، وما ذكر في الآيات السابقة من الاهتمام بالاستقامة والدعوة إليها فإنه يجد ترابطاً وثيقاً بين الاستقامة وبين تحقيق الأمن الفكري، فكل منهما مستلزم للآخر ويؤدي إليه، فلا استقامة بلا أمن فكري، كما أنه لا يمكن أن يتحقق الأمن الفكري بالابتعاد عن الاستقامة على منهج الله، بل إن من ثمرات الاستقامة هو حصول الطمأنينة والسكينة والأمن من الخوف الذي هو المطلب الأساس للأمن الفكري كما ذكر في الآيات السابقة.

المبحث السابع: سمات المنهج الوسطي.

الوسطية لها سمات، وهذه السمات ذكرتها النصوص ووجدت في سلوك الصحابة وأئمة الإسلام، ومن هذه السمات ما يلي:

1. أنها شريعة العدل في الأحكام والتصرفات.

2. أن هذا المنهج موافق للعقل السليم، والشرع الصحيح بنصوصه وقواعده واجتهادات العلماء فيه يدعوا إلى الوسطية وينهى عن الغلو.

3. أن الوسطية والاعتدال يبرآن من الهوى ويعتمدان على العلم الراسخ.

4. أن الوسطية تراعي القدرات والإمكانات.

55 التعريفات، الجرجاني (ص153).

5. أن فيها مراعاة للزمن والناس، فالزمن يتغير، والناس أيضاً يحتاجون إلى تجدد باعتبار الزمن وباعتبار التغير[56].

مظاهر المنهج الوسطي:

تتجلى وسطية الأمة الإسلامية في شتى الأمور سواء في باب العقيدة أو الأحكام أو السلوك أو الأخلاق، ومن المظاهر ما يلي: 1) وسطية في باب صفات الله بين أهل التعطيل وأهل التمثيل: فأهل السنة أثبتوا الصفات لله إثباتا بلا تمثيل، وينزهونه عن مماثلة المخلوقين تنزيهاً بلا تعطيل.2) وسطية في باب الوعد بين المرجئة وبين الوعيدية: فالمرجئة يقولون لا يضر مع الإيمان معصية، أما الوعيدية فهم الذين يقولون يجب على الله عقلا أن يعذب العاصي، ويكفرون أهل الكبائر، أما أهل السنة فهم بين نفاة الوعيد من المرجئة وبين موجبيه من الوعيدية. 3) وسطية في مسألة التكفير: فهناك من يسارع إلى التكفير ويكفرون بالكبيرة، كخال الخوارج، وفي المقابل هناك من منع التكفير مطلقاً، أما أهل السنة فهم لا يمنعون التكفير بإطلاق، ولا يكفرون بكل ذنب.4) وسطية في محبة النبي صلى الله عليه وسلم بين الغالين والجافين: فهناك من غلا في محبة النبي صلى الله عليه وسلم ورفعوه فوق منزلته كحال غلاة الصوفية، وهناك من جفا في حقه وأعرضوا عن شرعه كغلاة الباطنية، أما أهل السنة فتوسطوا فيرون أنه عبد الله ورسوله وأنزلوه منزلته اللائقة به. 5) وسطية في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بين الرافضة والخوارج: فالرافضة يسبون الصحابة رضي الله عنهم وربما كفروهم، ويغلون في علي وأولاده، وأما الخوارج فكفروا علياً ومعاوية ومن معهم من الصحابة رضي الله عنهم وأما أهل السنة فهم وسط بين هؤلاء وهؤلاء فاعترفوا بفضل الصحابة ولكن لم يغلوا فيهم.6) وسطية في باب العقل بين الذين ألهوه وبين الذين ألغوه: فأهل السنة لا يلغون العقل وفي الوقت نفسه لا يؤلهونه ولا يجعلونه حاكماً على نصوص الوحي.7) وسطية في التعامل مع العلماء: فهم يحبون علماءهم ويتأدبون معهم ويحسنون الظن بهم، ثم إنهم في نفس الوقت يرون أن العلماء غير معصومين يجوز عليهم الخطأ والنسيان، إلا أن ذلك لا ينقص من قدرهم.8) وسطية في التعامل مع ولاة الأمور: فهم ليسو كالخوارج الذين يرون جواز الخروج على ولاة الأمور، وليسوا كالمفرطين المداهنين المتخاذلين الذين يسكتون على ظلم الولاة ويتركون نصحهم والإنكار عليهم[57].

علاقة الوسطية بالأمن الفكري:

من خلال ما سبق من بيان مفهوم مصطلح الوسطية وذكر الأدلة وبيان الخصائص والمظاهر يتبين العلاقة

56 الوسطية والاعتدال، الشيخ صالح آل الشيخ، الناشر: وكالة المطبوعات والبحث العلمي بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط: الثانية،1427هـ (صـ7-9).

57 انظر: عقيدة أهل السنة والجماعة، محمد بن إبراهيم الحمد، الناشر: دار ابن خزيمة، الرياض، ط: الثانية، 1419هـ (صـ57-67).

الوثيقة بين المنهج الوسطي وتحقيق الأمن الفكري، حيث إن بداية أي انحراف وتطوره حتى يصل إلى التكفير لم يكن ليصل إلى هذا الأمر لولا الابتعاد عن المنهج الوسطي، فالابتعاد عن المنهج الوسطي هو بسبب خلل فكري قاده إلى عدم الفهم الصحيح للأدلة وعدم معرفة مقاصد الشريعة الإسلامية وبالتالي يصل إلى انحراف فكري يتطور بعده إلى غلو أو تقصير.

وعلى ذلك فإن الأمن الفكري يعني حماية المنظومة العقدية والثقافية والأخلاقية والأمنية في مواجهة كل فكر أو معتقد منحرف أو متطرف وما يتبعه من سلوك، ويحقق هذا المعنى الالتزام بالوسطية لأنها تحول دون الشطط الذي يلحق بالفكر فيجعل صاحبه منحرفاً فكرياً.

الخاتمة

تتضمن الخاتمة أهم النتائج والتوصيات، وذلك على النحو التالي: 1) أن الأمن الفكري غايته استقامة المعتقد، وسلامته من الانحراف، والبعد عن المنهج الحق، ووسطية الإسلام، ولذلك فإن الإخلال به يعرض الإنسان لأن يكون عمله هباءً منثورًا لا ثقل له في ميزان الإسلام.2) أن الإخلال بالأمن الفكري يؤدي إلى تفرق الأمة وتشرذمها شيعًا وأحزابًا، وتتنافر قلوب أبنائها، ويجعل بأسهم بينهم، فتذهب ريح الأمة، ويتشتت شملها، وتختف كلمتها.3) أن الأمن بمفهومه الواسع يشمل الأمن في الجانب النفسي والأمن في الجانب الجنائي والأمن في الجانب السياسي والأمن في الجانب الشرعي وفي كل جوانب الحياة.4) أن الإسلام اهتم اهتماماً بالغاً بالأمن، وعنى به عناية فائقة، بل إن الله جل وعلا بين في كتابه أنه من النعم العظيمة التي يمتن بها عليهم، فلا تتحقق أي سعادة وطمأنينة للفرد إلا بتحققه، والله جل وعلا بين أن من تمام نعيم أهل الجنة وهو تحقق الأمن لهم. 5) أن الإسلام أولى عناية كبيرة بالعقل والفكر، وأعطى الإنسان حريته في النظر والتفكر، لأن العقل والفكر إذا نظر إلى عظيم خلق الله وصنعه، وتجرد من جميع الصوارف فإنه حتماً سيقوده إلى خشية الله وتقواه، وبالتالي يأمن فكره من كل ما يؤدي به إلى الزيغ والانحراف.6) أن مفهوم الأمن الفكري يعد من المفاهيم الحديثة التي لم تعرف في ثقافتنا الإسلامية بلفظها.

ازداد الاهتمام بالأمن الفكري في الآونة الأخيرة، وزاد التأكيد على العناية به وتأصيله، وظهرت في ذلك الدراسات والبحوث. 1) أنه لا يمكن أن يتحقق الأمن الفكري إطلاقاً إلا بسلوك المنهج الوسطي المعتدل، والاستقامة عليه، وهذا لا يمكن أن يتحقق إلا بالاعتصام بمنهج الله تبارك وتعالى المتمثل في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وبالرجوع إلى العلماء الراسخين.2) أن الأمن الفكري يتعلق بالمحافظة على الدين، الذي هو إحدى الضرورات الخمس التي جاءت

الشريعة الإسلامية بحمايتها والمحافظة عليه.

المصادروالمراجع

الأمن الفكري وأسسه في السنة النبوية، د/جمال بادي و د/إبراهيم شوقار، بحث مقدم للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري بتاريخ 22-25 جماد الأول 1430هـ، كرسي الأمير نايف لدراسات الأمن الفكري بجامعة الملك سعود.

الأمن الفكري والعقائدي مفاهيمه وخصائصه وكيفية تحقيقه، أحمد بن علي المجدوب، بحث علمي منشور ضمن أوراق الندوة العلمية: نحو استراتيجية عربية للتدريب في الميادين الأمنية، الناشر: دار النشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، 1408هـ.

الأمن الفكري وعناية المملكة العربية السعودية به، د/ عبدالله بن عبدالمحسن التركي، وأصل الكتاب محاضرة ألقيت في مدينة تدريب الأمن العام بمكة المكرمة بتاريخ 1422/3/5هـ، (بدون دار نشر).

الأمن الفكري: مفهومه، وأهميته، ومتطلبات تحقيقه، د/ عبدالحفيظ المالكي، مجلة البحوث الأمنية، العدد (43) أغسطس 2009م.

بناء المفاهيم ودراستها في ضوء المنهج العلمي "مفهوم الأمن الفكري أنموذجاً"، د/ عبدالرحمن اللويحق، بحث مقدم للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري.

التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، ت: إبراهيم الأبياري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط: الأولى 1405هـ.

التفسير الميسر، نخبة من العلماء.

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن السعدي، الناشر: دار ابن الجوزي، الرياض، ط: الأولى، 1415هـ.

حقيقة الفكر الإسلامي، د/ عبدالرحمن الزنيدي، الناشر: دار المسلم، الرياض، ط2، 1422هـ.

زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى 1414هـ.

السلسلة الصحيحة، الألباني، الناشر: مكتبة المعارف، ط: الأولى.

سنن ابن ماجة، الإمام ابن ماجة، ت: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط: الأولى 1407هـ.

سنن الترمذي، الإمام الترمذي، ت: أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

صحيح البخاري، الإمام البخاري، الناشر: بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، ط: 1419هـ.

صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، ت: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، ط: الثالثة 1408هـ.

صحيح مسلم، الإمام مسلم، الناشر: الناشر: دار الخير، بيروت، ط: الثالثة 1416هـ.

عقيدة أهل السنة والجماعة، محمد بن إبراهيم الحمد، الناشر: دار ابن خزيمة، الرياض، ط: الثانية 1419هـ.

فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر العسقلاني، الناشر: دار السلام، الرياض، ط: الأولى 1421هـ.

في ظلال القرآن، سيد قطب، الناشر: دار الشروق، بيروت، ط: الخامسة والعشرون 1417هـ.

القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: الثالثة 1400هـ.

لسان العرب، محمد بن منظور، مادة: أمن، الناشر: دار صادر، بيروت، ط: الأولى 1417هـ.

مختار الصحاح، زين الدين محمد الرازي، الناشر: مكتبة لبنان، بيروت، ط: 1989م.

المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، جميل صليبا، الناشر: دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط: 1982م.

المفهوم الأمني في الإسلام، علي فايز الجحني، مجلة الأمن، الصادرة من وزارة الداخلية العدد (2) ذي الحجة، 1408هـ.

مقاييس اللغة، أحمد بن فارس القزويني، د: عبدالسلام هارون، الناشر: اتحاد الكتاب العرب، ط: 1423هـ.

المنجد في اللغة والأعلام، لويس معلوف، الناشر: دار المشرق، بيروت، ط: الثامنة والعشرون 1973م.

منهج التلقي والاستلال بين أهل السنة والمبتدعة، أحمد بن عبدالرحمن الصويان، الناشر: المنتدى الإسلامي، ط: الثالثة 1422هـ.

الوسطية والاعتدال، الشيخ صالح آل الشيخ، الناشر: وكالة المطبوعات والبحث العلمي بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط: الثانية 1427هـ.